الفصل الثاني

- الأسواق في مدن المغرب الأقصى
- تعريف الأسواق
- موقع الأسواق ونظمها في مدن المغرب الأقصى
- العاملون في الأسواق

obeikandl.com

الأسواق في مدن المغرب الأقصى

- **تعريف السوق :**

السوق بضم السين وهو موضع البياعات التي يتعامل فيها .

وهى تذكر وتؤنث والجمع أسواق . وأصل اشتقاق السوق من سوق النـاس بضائعهم إليها[١].

وقال سبحانه وتعالى " وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعضٍ فتنةً أتصبرون وكان ربك بصيرا"[٢] .

وتطلق كلمة السوق على كل مكان يتم فيه البيع والشراء بين النـاس[٣] . في الأماكن التي تتجمع فيها الحوانيت والمتاجر ويكثر فيها الباعة والتجار وأصحاب الحرف[٤] . وتمثل الأسواق مراكز النشاط التجاري والصناعي[٥] وترجع نشأتها إلى القدم (منذ ان استقر الانسان في مجتمعات) . وتمثل أهمية دراسة الأسواق ، إلى أنها هي المدخل الحقيقي لمعرفة الأوضاع السياسية والاجتماعية والعمرانية في المجتمعات بصفة عامة .

ففي العصر الأول من دولة الموحدين انعكست حالة الأمن والاستقرار على النشاط التجاري فقد حرص حكام دولة الموحدين على توفير الأمن وكان ذلك هدفاً رئيسياً لهم منذ استلامهم زمام الأمور في المغرب الأقصى .

---

(١) جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ابن منظور) : لسان العرب ، طبعة مصورة عن مطبعة بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، المجلد ١٢ ص٣٢ وما بعدها مادة السوق ، أحمد بن يوسف الدرويش : أحكام السوق في الإسلام وأثرها في الاقتصاد الإسلامي ، ط ١ عالم الكتب الرياض سنة ١٩٨٩م ص٢١)

(٢) الفرقان ٢٠ .

(٣) يوسف الدرويش : نفس المرجع ص ٢٢ –٢٥

(٤) كمال عناني إسماعيل : عمران سبتة كما شاهده ووصفه السبتى ، مجلة المؤرخ العربي اتحاد المؤرخين العرب القاهرة – العدد السابع سنة ١٩٩٩م مج١ ص ٣٧٢

(٥) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٨ الكويت سنة ١٩٨٨م، ص ٢٥٢ ، ادم متز : الحضارة الإسلامية ، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة مطبعة لجنة التأليف القاهرة سنة ١٩٤١ج ٢ ص ٣٢٥ .

ولذلك اهتم الموحدون منذ عهد عبد المؤمن بن على (٥٤١ -٥٥٨هـ/ ١١٤٥ -١١٦٣م) حتى عهد أبو محمد عبد الله الناصر رابع خلفاء الموحدين (٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٩-١٢١٣م) بتأمين البلاد وحراسة سواحلها وراقبوا الأسواق حتى انتظمت جبايتها وازدهرت الأسواق وشهدت المدن انتعاشاً في التجارة واطمأن الناس على تجارتهم[١] .

وقد اهتم الموحدون بتامين الطرق التي تربط بين مدن المغرب الأقصى والمغرب في حدود دولتهم ، فقد عمل عبد المؤمن بن علي على حماية التجار وتأمين الطرق متوعداً بقتل من يخالف هذا الأمر[٢] . وسميت هذه التنظيمات بالرتب . وهى عبارة عن خيام تقام على مسافات متقاربة يسكنها أهل المنطقة التي تقام بها ويمنحون أقطاعا من الأرض ، وذلك لمساعدة المسافرين على حراسة أمتعتهم ، فإن ضاع شيء منها كانوا هم الضامنين لها . كما كانت هناك أيضا فرقاً يطلق عليها الغرباء ، ومهمتهم حراسة الطرق وخدمتها [٣].

وقد وصل الأمن مداه في عهد أبي يوسف يعقوب (٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩م) ثالث خلفاء الموحدين ، حيث ساد الأمن البلاد في ذلك العهد وأن القوافل كانت تخرج من بلاد نول لمطه (في جنوب المغرب الأقصى) حتى تصل برقة (حدود دولة الموحدين مع مصر) وحدها لا ترى من يتصدى لها[٤] .

- **موقع الأسواق ونظمها في مدن المغرب الأقصى :**

وقد نقل العرب معهم صورة الأسواق العربية التي عرفوها إلى الأمصار الجديدة التي فتحوها . فلم تكن لتلك الأسواق في البداية أسوار تحددها وإنما تركوها دون بناء .

وقد ذكر عن عمر بن الخطاب " أن الأسواق على سنة المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته ويفرغ من بيعه . وكانت بهذه الأسواق خيام تقي الناس والبضائع (حرارة الشمس) في الصيف ، (والمطر والبرد) في الشتاء ، ثم

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٣٤٧

(٢) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٦٧ ، عز الدين احمد موسى : النشاط الاقتصادي ص ٢٧٠

(٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ص ٢٨٦ -٢٨٧

(٤) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٢١٧

عقدت بعد ذلك بالحجارة وسقفت[١] . وكانت الأسواق تقام في المدن حول الميادين والمساجد ، ثم أنشئت الدكاكين على جانبي الشوارع المختلفة.

وجعل لكل صنف من أصناف التجارة موضع خاص[٢] . وجعل لكل سوق مكاناً خاصاً مستقلاً ، وكان لكل صنف من أصناف الصناعات عريفاً(رئيساً لكل صناعة) [٣] . وكانت أكثر الأسواق ازدهاراً هي الأسواق القريبة من المسجد الجامع حيث يكثر الناس وتكثر حركة البيع والشراء[٤] .

وقد سميت الأسواق التي حول المساجد[٥] . مثل (سوق الشماعين) وذلك لوجوب الإضاءة بالشموع في المساجد في الصلاة الليلية ، وكذلك (سوق العطارين) لوجود تعطير وتبخير الجوامع، (وسوق القباقيبية) لوجوب الوضوء، (وسوق الكتبيين) لسد احتياج المساجد والمدارس [٦]. ويظهر في أسواق فاس هذا الارتباط

---

(١) حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية ، (رسالة دكتوراه سنة ١٩٧٥م) ، ص ١٦٦

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٩٣ وما يليها ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٥ ص ٣٣ ، ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ج ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق حسين نصار ،ج٢٤ ص ٨٥ وما يليها ،
العبد الرحمن بن نصر الشيزرى : كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق الباز العريني، دار الثقافة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص١١ حاشية(١) .

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٤م ، ج ١ ص٥٨،
موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧١م، ص ٣٩، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص ١٤ وما يليها.

(٤) حسن حسنى عبد الوهاب : مرجع سابق ص ٥٨ ، عفيفي محمود ابراهيم عبد الله : الحضارة في بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى منتصف القرن السادس الهجري ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ١٧١.

(٥) عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة سنة ١٩٦٥م ص ٦٦ ،
محمد عيسى الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ط٢ ، الكويت ، ١٩٨٧م ، ص ٢٩٣.

(٦) الجزنائى : جني زهرة الاس ص ٦٦ ،
" القباقب التي ينتعلها الأعيان عندما تكون الأزقة موحلة ، تصنع هذه القباقب عادة من خشب التوت الأسود أو الأبيض ،وقد تصنع من خشب الجوز والليمون والعناب . والقباقب المصنوعة من هذين النوعين الأخيرين من الخشب أكثر جمالاً وأناقة . ولكن التي تصنع من التوت تدوم مدة أطول" (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٤٣-٢٤٤)

القوى بين المساجد والأسواق التجارية حتى أن أبواب المساجد سميت بأسماء تحمل دلالات تجارية فمسجد القرويين له أبواب مثل باب الكتبيين حيث يجلس الموثقون للقيام بأعمالهم في كتابة العقود وتحريرها[١] .

أما الأسواق التي لا يصلح أن تقام داخل المدينة ، لما لبعضها من رائحة كريهة أو أدخنة أو أخطار حريق أو أصوات دوى مزعجة كانت تقام عند أسوار المدينة ، ومن هذه الأسواق (الأسواق الصناعية) مثل سوق الدباغين والصباغين والسراجين والحدادين والنجارين ...[٢] .

- **أنواع الأسواق :**

عرفت مدن المغرب الأقصى أنواع مختلفة من الأسواق منها : الأسواق الدورية أو الأسبوعية ، والأسواق المتخصصة (القيسارية) والأسواق الدائمة ، وأسواق الجملة وغيرها من الأسواق .

- **الأسواق داخل المدن :**

كانت الأسواق الدائمة تختص بمكان معين تبعاً لأنواع البضائع ، وكان تنظيمها يخضع لشروط كثيرة ، وعلى هذا الأساس يجد المرء بعض الأسواق داخل المدينة والبعض الآخر خارجها لاحتياج بعض الأسواق الصناعية (الحرف) إلى المياه لتصريف بقايا العمل فيها[٣] . وعلاوة على ذلك فان بعض تلك الأسواق قد تخصص في سلعة محدودة .

- **أسواق مدينة مراكش :**

تنوعت أسواق مدينة مراكش ، فهي من اكبر مدن المغرب الأقصى وعاصمة دولة الموحدين ووصفها الإدريسي : " شوارعها واسعة ورحابها فسيحة وسلعها رائجة " [٤] وكان بمدينة مراكش أسواق دائمة متخصصة لأنواع الصناعة المختلفة ، مثل مصانع السكر ومعامل لتنظيف القطن (محالج القطن)[٥] . وأسواق لبيع الماشية

---

(١) الجزنائى : نفس المصدر السابق ص ٧٠

(٢) الجزنائى : نفس المصدر ص ٤٤ ، الحسن الوزان : نفس المصدر السابق ص ٢٤٩ ، عثمان الكعاك : الحضارة العربية ص ٦٦.

(٣) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٤٨ -٤٩.

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٤

(٥) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٢١٠

من أبقار وأغنام وإبل وبيع منتجات الألبان[١] . فضلاً عن أسواق الحبوب وأسواق الخضر والفواكه والمحاصيل الزراعية المختلفة حيث تأتيها المحاصيل الزراعية والفواكه من مدينة نفيس[٢] وبلاد دكالة[٣] الواقعة شمال غرب مدينة مراكش[٤] .

أما الأسواق الصناعية التي تباع فيها الآلات والمواد الصناعية (الأولية) اللازمة للصناعة فإنها تحتاج إلى مكان واسع ، وهى أسواق صناعية تقع بالقرب من أبواب المدينة وذلك لما قد ينتج عنها من ضوضاء أو روائح كريهة تؤذى أهل المدينة[٥] . فقد كان سوق الدباغين مخصص لتجارة ودباغة الجلود ، وتصنيعها يوجد بجوار احد أبواب مدينة مراكش ويطلق عليه باب الدباغين[٦]. حيث تأتيها التجارات من كل مكان ، وقد أدى وقوعها على طرق القوافل التجارية الموصلة بين مدن المغرب الأقصى الرئيسية إلى تنوع المعروض في أسواقها من بضائع[٧] وإلى رخص الأسعار بها[٨] .

- **أسواق مدينة فاس :**

تعتبر مدينة فاس العاصمة الثانية بعد مراكش ، فقد ظلت فاس مدينة تجارية في عصر الموحدين ، فيحدثنا الإدريسي عنها بقوله " ومدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى ... وعليها تشد الركائب واليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرتها كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة وأهلها مياسير ، ولها من كل شيء حسن اكبر نصيب وأوفر حظ " [٩]

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج٥ ص ١٧٥ -١٧٦

(٢) مدينة نفيس: مدينة صغيرة تقع غرب مدينة أغمات في الطريق إلى السوس الأقصى وبها جبل نفيس ويطلق على قبائلها نفس الاسم (الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٢٩)

(٣) بلاد دكالة : منطقة تقع غرب نهر تانسيفت وتنتهي شمالاً على المحيط . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ١٠٦ -١٥٧)

(٤) نفيس جنانها وبلاد دكالة فدانها (مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه دسهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة ، ط١ ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩م ، ص١٥-١٦، عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٦١)

(٥) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٢١٠

(٦) محمد بن محمد بن عبد الله بن المؤقت : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضارة المراكشية ، طبع حجر ، مراكش ، ١٣٣٥هـ ، ج١ ص ١٢

(٧) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٤٤٦ وما يليها

(٨) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ج ٥ ص ١٢٣ ، ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج٢ ص ١٢٢ ، الإدريسي : نفس المصدر ص٢٣٤ وما يليها.

(٩) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٦

فيوجد في فاس أسواق قد تخصصت في سلعة واحدة أمثال سوق الشماعين – العطارين ... كما نسبت بعض الأسواق إلى الأشخاص كسوق (ابن قذة) في فاس[١].

ولقد أعطى لنا (الحسن الوزان) وصفاً دقيقاً عن حالة الأسواق في فاس وأهم الوظائف ، وسوف نفرد لهؤلاء التجار وأسواقهم الحديث كالآتي :

كانت حوانيت التجار قديماً تعلو على الأرض بما يقارب المتر حتى يكون البائع أو الصانع جالساً في مستوى الزبائن إلا أن حوانيت الصناع كالحدادين والصباغين والنجارين كانت دائماً موازية ومتساوية مع قارعة الطريق[٢] .

كُتاب العدل : ويشغل هؤلاء حوالي (ثمانين دكاناً)[٣] . ويقع مكانهم بالقرب من جدار جامع القرويين والبعض الآخر في الجهة المقابلة لهم ويوجد في كل دكان كاتب عدل(عدلان للشهادة ، أما الكاتب العدل فهو الموثق) . ويوجد بالقرب منهم (دكاكين المكتبات) التي تصل لثلاثين دكاناً .

تجار الأحذية[٤] : وقد برع أهل فاس في الصناعات الجلدية فكان الاسكافيون يصنعون الأحذية المطرزة ، إلى جانب الخفاف والنعال المزخرفة بالجلد والحرير[٥] . وكان يوجد منهم باعة الجملة وآخرون باعة تجزئة(بالمقسط) . أما باعة التجزئة فكان لهم أكثر من (مائة وخمسين) دكاناً ، يشترون الأحذية والخفاف بالجملة من الخرازين ثم يعاودون بيعها بالتجزئة .

ويقع بالقرب منهم (الخرازين) الذين يصنعون أحذية الأطفال ويصل عدد دكاكينهم إلى (خمسين دكاناً) .

تجار الفواكه : وهم يشغلون حوالي (خمسين) دكاناً ، ويقومون ببيع ثمارهم فيها .

---

(١) أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن محمد (إسماعيل بن الأحمر) : بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٢م ص ٨

(٢) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، دار السلمي ، ط١ ، المغرب ، ١٩٥٧-١٩٥٨م ، ص ٢٥

(٣) الوزان : وصف إفريقيا ج١ ص ٢٣٣ ، الجزنائى : جني زهرة الاس ص ٦٦.

(٤) الوزان : نفس المصدر ص ٢٤٣-٢٤٤، مارمول كرفجال: إفريقيا ج٢ ص١٤٨، ١٥١، ١٥٣

(٥) العمري : وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى ، مقتبس من مسالك الابصار فى ممالك الامصار ، نشر محمد المنوني ، الرباط ، مجلة البحث العلمي ، جامعة محمد الخامس ، العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٩٦٤م ، ص١٣٩ ، مارمول : إفريقيا ج٢ ص ١٥٠ ، ١٥٩

تجار الفواكه : وهم يشغلون حوالي (خمسين) دكاناً ، ويقومون ببيع ثمارهم فيها .

باعة الأزهار : اشتهرت فاس بأنواع من الأزهار لا توجد في غيرها من البلاد، منها الياسمين والرند وهو نوع من أنواع الزهور . والأزهار العطرة والرياحين وأنواع كثيرة من الورود . وكان هؤلاء الباعة يبيعون الزهور في دكاكين خاصة وتوجد بهذه الدكاكين مختلف الأنواع من الزهور، ويبيعون الحامض والليمون أيضا ، ويبلغ عدد دكاكينهم حوالي (عشرين) دكاناً[١] .

تجار الحليب : كان تجار الحليب يشتهرون بمتاجرهم المزدانة بآنية من المايورقى(وعاء من الخشب)[٢] . وهم يشترون الحليب من البقارين(أصحاب البقر) الذين يعلفون أبقارهم لهذا الغرض ويرسلون اللبن كل صباح في آنية خشبية إلى دكاكينهم ليتم بيعها ، وما يتبقى منها يتم بيعه لتجار السمن ، أو يصنعوا منه لبناً حامضاً أو رائباً . ويقدر الحسن الوزان ما يباع من الحليب في فاس يومياً ما يصل إلى (خمسة وعشرين) بطة(٩٣٨لتر)[٣] من اللبن البقرى الحامض .

تجار القطن : ويصل عدد دكاكينهم إلى (ثلاثين) دكاناً[٤] .

تجار الأواني الخزفية : وهم تجار الفخاريات ذات الصنعة المتقنة والألوان الزاهية ، التي كانت إما موحدة في اللون أو ممتزجة الألوان ، ويصل عدد دكاكينهم إلى (مائة) دكاناً[٥] .

تجار السروج وطقوم الخيل (السراجين) : وهم تجار الشكم واللجم للخيل والأحزمة والسروج المطرزة والركابات ويصل عدد الدكاكين إلى (ثمانين) دكاناً .

ويأتي بالقرب منهم تجار النطق الجلدية(أحزمة لربط وسط الانسان) والخفاف والأزمة والسروج الجلدية المطرزة بالحرير والذهب للخيل[٦] أيضا . فقد كان

---

(١) الوزان : نفس المصدر ص ٢٣٤

(٢) المايورقى : هي أوعية من الخشب المطوق بالحديد ، ضيقة جداً في فمها عريضة في قعرها . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص٢٣٤)

(٣) البطة (Botta) : كيل ايطالى قدره ٩٣٨ لتر تقريباً . (الوزان : نفس المصدر ص ٢٣٤)

(٤) الوزان : نفس المصدر ص ٢٣٤ ، مارمول : إفريقيا ج ٢ ص ١٥١ ، ١٥٣

(٥) الجزنائى : جني زهرة الاس ص ٥١ ، الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٤ -٢٣٥ ، عبد القادر زمامة : فاس وصناعاتها التقليدية ، مجلة كلية الآداب بفاس ، العدد الرابع والخامس، فاس ، ١٩٨٠-١٩٨١م ص ٤٧٢

(٦) الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٩ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج٢ ص ١٥٣

المسلمون يحرمون تطريز السروج بالذهب والعمل فيه ، بينما كان اليهود يقومون بهذا العمل ولذلك سمح لهم بالقيام بتطريز السروج بالذهب[1] . وكان لهؤلاء الصناع في فاس مائة وخمسون دكاناً . وبالقرب منهم تجار المصنوعات كالحبال وأزمة الخيل والخيوط والشرائط الرفيعة .

سوق الدخان : يقع بجوار سوق الخضر ، وهو سوق تباع فيه الأطعمة الجاهزة من فطائر مقلية في الزيت (الإسفنج)[2] . وكذلك اللحم والأسماك المقلية، وأنواع من الخبز الخفيف[3] . وتباع الاكارع المطبوخة .

ويشغل هذا السوق خمسة عشر دكاناً ، وأغلب رواده من الفلاحين الذين يتناولون هذه الأطعمة في الصباح الباكر قبل ذهابهم إلى عملهم .

دكاكين الجزارين : ويصل عددهم إلى نحو (أربعين) دكاناً، ويقومون في الدكاكين بتقطيع اللحم ووزنه . ولم يكن من المسموح ذبح الحيوانات في دكاكين الجزارة ، بل كان يتم سلخها في مسلخ يقع بجوار النهر[4] . ثم تحمل إلى الدكاكين بواسطة الحمالين ، وقبل أن تنقل كانت تعرض على (المحتسب أو صاحب السوق أو الأمين) الذي يجب أن يفحصها ويحدد سعرها بوضع بطاقة عليها السعر ويلتزم البائع بعرضها حتى يراها الجميع[5] . هذا وقد وجدت إلى جانب هذه الحوانيت الموجودة بالسوق حوانيت أخرى للجزارين في بقية الأحياء .

---

(١) الونشريسي : المعيار المعرب ج٦ ص ٣٤١

(٢) وهي حرفة صناعة وبيع الإسفنج أو السفنج ، كما يسميه المغاربة ، ونقصد هنا بالإسفنج تلك الفطائر المقلية اللذيذة ، والتي لا يربطها بباقي مسميات الإسفنج – من الإسفنج النباتي والحيواني والصناعي – إلا أوجه الشبه من حيث كثرة الثقوب والانتفاخ.
(الجزنائي : جني زهرة الاس ص ٥٥ ، الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٧)

(٣) هذا النوع من الخبز مصنوع من أشرطة ومعجون بالسمن ، وتؤكل كذلك بالزبد والعسل .
(الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٣٧)

(٤) محمد بن الكريم المغيلي التلمساني (المغيلي) : مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تقديم وتحقيق رابح نونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر سنة١٩٦٨م ص٤٣ ، الونشريسي : المعيار ج٢ ص٢٦ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج٢ ص ١٥١ – ١٥٢ ، مجهول : ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين ، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط (رقم ١٦٣٧ تاريخ) ورقة ٤ .

(٥) ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة سنة ١٩٥٥م ص ٤٨ ، الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٧.

سوق الأقمشة : أي سوق المنسوجات ، وهو سوق لتجارة الأقمشة الصوفية الغليظة المحلية ، وكذلك القطنية ويتألف هذا السوق من (مائة) دكاناً ، وكان تجار الأقمشة يجنون أرباحا طيبة[١].

سوق الخضر : وهو سوق يباع فيه (الكرنب ونوع من اللفت وبعض أنواع الخضر الأخرى التي تطبخ مع اللحم) ويضم هذا السوق (أربعين) دكاناً وبالقرب منها يباع الجزر واللفت وهى الخضر إلى يستحسنها أهل فاس[٢] .

بائعو الحوت : ونجد في هذا المكان صيادي السمك ، الذين يأتون بأسماكهم من نهر فاس ومن نهر سبو ، وكان يباع في السوق أسماكا كبيرة طازجة وكذلك ذات جودة عالية وبثمن قليل ومنها سمك " الشابل " الكبير وفي بعض الأحيان يتم صيد الكثير من سمك البوري[٣] ويصل إلى المدينة الحوت الكبير ويتم حمله على الحمير . وكذلك وجد بفاس نوع من الحوت يطلق عليه الشولى[٤] . وكان سمك الشبوط يدخل في طعام السكان ، فقد كان يتم صيده من نهر سبو طول الشتاء من شهر أكتوبر إلى شهر أبريل[٥] .

سوق الصابون : أدت كمية الإنتاج الوفيرة من الزيت إلى ازدهار صناعة الصابون بفاس[٦] . وكان لدى باعة الصابون عدد قليل من الدكاكين المتجمعة ، إذ نجد لهم دكاكين متفرقة في كل الأحياء ، وكانوا يبيعون صابوناً سائلاً . و كان الصابون يصنع خارج المدينة في منطقة الجبال المجاورة ثم يتم نقله عن طريق الحمالين إلى الدكاكين[٧] .

---

(١) مارمول كرفجال : إفريقيا ج٢ ص ١٥٢

(٢) لم يكن من السهل شراء هذا النوع من الخضر مباشرةً من الزراع وتقدر الكميات المباعة بخمسمائة حمل وأحياناً أكثر ، ولم يكن سعرها باهظ فكان العشرون أو الثلاثون رطلا بـ (بيونشو) واحد . (الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٥ -٢٣٦)

(٣) ويطلق على صاحب هذه الحرفة " حوات " وهو لا يصيد غير الحوت النهري .
(مجهول : الاستبصار ص ١٨٤ -١٨٥) عبد السلام بن سودة : حول أسماء الحرف والصناعات في مدينة فاس ، مجلة دعوة الحق عدد (١ ، ٢) الرباط سنة ١٩٧١م ص١١٢

(٤) الشولى : هو نوع من الأسماك كبير الحجم ، ويعد من ألذ أنواع السمك ، وتصنع منه العديد من الأكلات باستخدام البقل ، ولا يوجد له رائحة السمك المنفرة . (مجهول : الاستبصار ص ١٨٥)

(٥) روجية لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ٩٧

(٦) وكان يوجد بفاس في عهد الموحدين ٤٧ داراً لصناعة الصابون .
(ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٤٨ ، الجزنائى : جني زهرة الاس ص ٤٤)

(٧) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص٢٤٣

سوق الدقيق : كانت أسواق فاس تضم حوانيت لبيع الدقيق حيث كان يجلب القمح إلى فاس من القرى التي في أحوازها[١]. ولكن عدد تلك الدكاكين كانت قليلة ، لأن أغلب هذه الدكاكين كانت متفرقة في أسواق الأحياء . بالقرب منهم باعة الحبوب، وكانت الكميات المباعة قليلة ، إذ ليس من العادة أن يبيع أهل المدينة حبوبهم[٢]. فاغلب تجار الحبوب تجاراً للجملة ومركزهم بجوار أبواب المدينة[٣] .

سوق التبن : وهم باعة التبن المتمركز نشاطهم بالقرب من رحبة التبن في عشر دكاكين .

سوق الكتان : ويقع هذا السوق في بناء كبير ويتكون من أربعة أروقة ، وفي أحدها يباع الخيوط الكتانية بعد تمشيطها، والآخر يباع فيه الأقمشة الكتانية المنسوجة، ويوجد مكان يتم فيه وزن الخيوط[٤] .

سوق الشماعين : هو سوق مخصص لبائعي الشمع ، ولقد أبدعوا في صناعة الشمع فهناك الشموع الغليظة والرفيعة التي كان لها زبائن كثيرة بين أهل الريف . فيقول عنهم الوزان : " الشماعون الذين يصنعون من الشمع أجمل أشكال رأيتها في حياتي " . ومن الواضح أن أغلب إنتاج الشمع كان يباع للقبائل المقيمة على أطراف المدينة[٥] .

سوق العطارين : يقع إلى جانب القيسارية إلى الشمال ، ويصل عدد الدكاكين إلى مائة وخمسين دكاناً ، وكان يباع في هذا السوق منتجات العطارة والتوابل وكذلك الأعشاب الطبية[٦] . فلم يكن مسموح للتجار بإعداد المواد الطبية ، فكان الأمر يترك للأطباء ليعدون الوصفات الطبية المختلفة ثم تنقل للدكاكين وكانت معظم دكاكين الأطباء بجوار دكاكين العطارين .

---

(١) البكري : المغرب ص ١٥١

(٢) مارمول : إفريقيا ج٢ ص ١٥٢ ، الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٨

(٣) روجية لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ٤١

(٤) غير أن مارمول يصفه على انه سوق للملابس الداخلية فيقول " هناك ساحة الملابس الداخلية على شكل رواق كبير ذي أربعة أبواب ، تباع فيها المشاقة . والخيط والقماش. ويقام فيها يوميا سوق يستمر من الزوال إلى الساعة الثانية يزدحم فيها جمهور من النساء اللاتي يأتين لبيع أو شراء القماش ... وغالباً ما يتضاربن..." (مارمول كرفجال: إفريقيا ج٢ ص ١٢٥)

(٥) الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٤ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج٢ ص١٥٠.

(٦) الوزان : نفس المصدر ص ٢٤٢ -٢٤٣ ، الجزنائي : جني زهرة الاس ص ٧٠.

سوق الصاغة[1] : ويقع سوق الصاغة بقرب دار السكة[2] ، وأمينهم هو الذي يحتفظ بقالب المعادن وأختام النقود ، فلا يمكن أن يصنع بفاس خاتم أو أي شيء من ذهب إلا ويكون مختوما ، ومن حاول بيع شيء غير مختوم تعرض للخسارة والعقاب من المحتسب .

وقد قام على معدني الذهب والفضة حرفة الصاغة ، وهي عبارة عن ثلاث حرف متداخلة يقوم بها (دكاك وصائغ وسكاك)[3] . ومعظم تجار الصاغة من اليهود الذين ينجزون أعمالهم بفاس الجديدة ، ثم يحملونها للبيع في السوق المخصص لهم قرب سوق العطارين ، ولا يمارس هذه المهنة أحد من المسلمين ، لأنهم يروا أن بيع المصوغات سواء كانت ذهبيه أو فضية بأكثر من ثمنها يعد ربا، ولذالك سمح لليهود بممارسة هذا العمل[4] .

ولا يوجد بفاس القديمة غير عدد قليل من دكاكين الصاغة تبيع الحلي للأهالي .

سوق السلاح : بالإضافة إلى هذه الأسواق كان هناك عدة محلات مخصصة لبيع السلاح في مدينة فاس الجديدة[5] . وكان عدد هذه الدكاكين اثنا عشر دكانا ، وكان أصحابها من مسلمي الأندلس (غرناطة وبلنسية) وكانوا متخصصين في صناعة الأسلحة النارية[6] .

وعلى مقربة من الأبواب الرئيسية للمدينة (باب الجيسة وباب الفتوح وباب المحروق) كانت توجد بضع من أسواق الجملة وخاصة أسواق الحبوب ، وذلك لتجنب نقلها عبر شوارع المدينة الضيقة[7].

---

(١) كان يطلق على الصائغ أو من يشتغلون بالذهب اسم (صوفريم) بالعبرية ، وكذلك كان يطلق على المشتغلين بالفضة اسم (السكاكين أو الصياغين).
(حاييم زعفراني : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب .ترجمة أحمد شملان ، عبد الغني أبو العزم ، دار الثقافة ، الدار البيضاء سنة ١٩٨٧م ،ص ١٥٢)
(٢) الحسن الوزان : نفس المصدر ص٢٤٣
(٣) عبد السلام بن سودة : حول أسماء الحرف والصناعات في مدينة فاس ص١١٣ .
(٤) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص٢٤٣ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج٢ ص١٥٧، روجية لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص١٥٣ .
(٥) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص١٣٧
أمر السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني سنة ٦٨٤ هـ/١٢٨٥م ببناء عاصمة جديدة سماها فاس الجديدة (المدينة البيضاء) وغلب عليها الطابع العسكري والإداري ،ولقد ارجع البعض سبب تسميتها بالدار البيضاء إلى انه يعد خلافا لفاس القديمة التي كان الدهر قد غير لون مبانيها . (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص٢١٠ -٢١١-٣٧٣ . والذخيرة السنية ص٧٩)
(٦) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص٢٤٤ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج٢ ص١٥٤ .
(٧) روجيه لوطورنو : المرجع السابق ص٤١

وقد أشار الونشريسي إلى أن بعض التجار من مسلمين ويهود كانوا يقومون ببيع السلع للنساء في الدور وليس في الأسواق ويذكر انه عند اشتداد الحر كان بعض النساء يخرجن إليهم سافرات الوجه[١] .

- **القيسارية[٢] :**

هو مكان يوجد في وسط المدينة ، وهي في حجم مدينة صغيرة ، يوجد حولها سور يضم أبواب وعلى الأبواب حواجز (سلاسل) لمنع دخول المارة وهم ركوب ، وكذلك منع كل أنواع الدواب[٣] .

وكانت القيسارية تحوي شتي منتجات الأسواق مجتمعة معاً ، وهي مقصد للتجار من الطبقة الأولى ، ولم تكن القيسارية تتكون من حوانيت فحسب ، إذ كانت تقوم إلى جانبها مخازن ، حيث كان تجار الجملة يخزنون بضائعهم قبل بيعها إلى تجار التجزئة[٤] . وهي سوق للأشياء الواردة من الخارج عالية القيمة ، وكذلك أجود منتجات الصناعات المحلية ، وكانت بها التجارة الفردية عن طريق البيع والشراء بين الأفراد ، أو جماعية عن طريق المزادات . و كان في مراكش قيسارية كبيرة في عهد الخليفة الموحدى أبى يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م)[٥] .

---

(١) الونشريسي : المعيار المعرب ج٦ ص١٩٧

(٢) القيسارية : كلمة من أصل يوناني معناها السوق الإمبراطوري ، ويقصد بها البناء الملكي ، وهي أسواق مملوكة للدولة . وتكون خاضعة لإدارتها بخلاف الفندق الذي يقيمه الأفراد وتؤول ملكيته إليهم ، في حين يفسرها بعض الدارسين بأنها سوق التجار ، ويرى بعض الباحثين أنها اشتقاق من كلمة القصر العربية . والقيسارية مؤسسة تجارية عامة متسعة النطاق ، تختلف نوعا ما من مدينة إلي أخرى ، وتتكون في بعض الأحيان من فناء مركزي فسيح تحيط به أروقة مسقوفة تقام فيها الحوانيت والمصانع الصغيرة ، والمخازن ومنازل الغرباء من التجار ، وأحيانا تتخذ شكل شارع مسقوف بقبوات من الأجر أو بمعروشات العنب أو بأسقف الخشب أو يترك مكشوفا ، وتتوزع على جانبيه حوانيت الباعة ... وقد تكون ساحة في وسط المدينة تتوزع حولها المنشآت التجارية .
(أحمد محمد الطوخى : القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس ص٦٧-٦٩)

(٣) الحسن الوزان: وصف إفريقيا ص٢٤٥، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص٤٨ ، الجزنائي: جني زهرة الاس ص٣٤ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج٢ ص١٥٠ .

(٤) الحسن الوزان: وصف إفريقيا ج١ ص ٢٤٠-٢٤١، مارمول كرفجال:إفريقيا ج٢ ص١٤٨.

(٥) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٢١٠، السيد عبد العزيز سالم : الحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ، ١٩٨٦م ، ص ٢٦ ، محمد احمد زيود : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم الإسلامي ، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٤م، ص٢٢٠.

وكان في فاس قيساريتان[١]. وكانت القيسارية تضم في داخلها خمسة عشر سوقاً[٢] هي :

سوق الخرازين : كان لهم حيان يضم الدكاكين[٣] الخاصة بهم ، وهم صناع الأحذية الفاخرة والتي لم يكن يستخدمها سوى الأعيان ووجهاء القوم .

سوق الأقمشة الحريرية : كان لتجار الأقمشة الحريرية حيان آخران مخصصان لهما . فكان بعضهم مخصص للطرز الخاصة بالخيل ، وكان عددهم يقدر بخمسين دكاناً وآخرون يبيعون الحرير الملون المستخدم في أعمال التطريز المختلفة ويقدر عددهم بمثل سابقهم ، ويأتي بعدهم صانعوا النطاقات للنساء منها الحريرية ، وإلى جانب هذا يوجد بعض الدكاكين التي تقوم بصنع ما يزين به " البرانس "[٤] المديونية من حواش حريرية .

سوق الأقمشة الصوفية : كان لتجار هذا السوق حيان مخصصان لهم ، وهذه الأقمشة أغلبها ترد من الأندلس ، كذلك فإن أغلب تجار هذا المجال كانوا من مسلمي الأندلس[٥] ، وكانت هذه الدكاكين تبيع الحرير الخام والقلنسوات وبعض الطنافس[٦] والوسائد من قماش الحرير والكتان[٧] .

---

(١) عبد الأحد السبتي – وحليمة فرحات : كتاب المدينة في العصر الوسيط ، قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الاسلامي ، الناشر الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ص ٣٧٣

(٢) الوزان : نفس المصدر السابق ص٢٤٠-٢٤١ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج٢ ص ١٤٨.

(٣) الدكاكين : جمع دكان وهي الحانوت . وقد بلغت دكاكين فاس في عهد الموحدين (٩٠٠٨٢) (الجزنائي : جني زهرة الآس ص ٨٢)

(٤) البرنس : هو رداء ذو كمين مشبوك به قلنسوة طويلة ، وكانت البرانس المديونية تصنع من نسيج لا ينفذ منه المطر . والبرانس المديونية نسبة إلى جبل مديون الواقع شرق مدينة فاس . (ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ١٤١ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣ ، المعجم الوجيز ص ٤٧)

(٥) مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٤٩

(٦) الطنافس : والمفرد الطنفسة وهي كساء له أهداب ودثار أو فراش ذو أهداب كأهداب القطيفة ، ويستخدم أيضاً كبساط فوق الرحل. (المعجم الوسيط ، ج٢ ص ٥٦٨ ، ٧٤٧ ، المعجم الوجيز ، ص ٣٩٦)

(٧) كما وجدت زرابى من الجلد المزركش بالذهب والحرير ، تستعمل هناك كسماطات تفرش على الأرض لتناول الطعام ، وللجلوس عليها في الصيف . (مارمول كرفجال : إفريقيا ج٢ ص ١٤٩)

سوق الخياطين : يوجد للخياطين والقصّارين[١] ثلاثة أحياء خاصة بهم[٢] .

سوق الحواشي : يوجد لتجارة حي خاص بهم ، وكان اختصاصهم صناعة حواش العمائم للرؤوس .

تجار الكتان[٣] : يوجد لهم حيان ، وهم يتاجرون في الكتان والأقمشة النسائية وهم أغنى تجار في فاس ، لما يعود عليهم من أرباح طائلة لكثرة الطلب على هذا الصنف من الأقمشة .

سوق الملابس المستعملة : يوجد لتجارة هذه الفئة حي خاص بهم ، وهم تجار يبيعون الملابس المستعملة ، وكان البعض يطلق عليهم تجار (الأقمشة الأوربية) وكانت تباع بالمزاد العلني[٤] ويطلق عليه سوق المركطين[٥] .

سوق القمصان القديمة : وهم باعة القمصان القديمة المصنوعة من الكتان وهى ملابس مستعملة إلى جانب ذلك كانت تباع الأغطية والفوط[٦] .

ويوجد بالقيسارية مكتب (محصلي الضرائب)[٧] لأن أغلب الأقمشة التي تباع يتم بيعها عن طريق المزاد العلني ، فيحملها الباعة إلى مستخدمي الضريبة لختمها ، ويصل عدد الدلالين نحو (ستين) (دكاناً)ومقدار الضريبة هو (بايوتشو)[٨] عن كل قطعة قماش .

وفى أغلب الظن أن إنشاء القيسارية لا يتم إلا في المدن الكبرى مثل مراكش وفاس في المغرب الأقصى ، أما بقية المدن فلا يذكر فيها هذا النوع من الأسواق .

---

(١) القصار : هو المبيض للثياب وكان يهيأ النسيج بعد نسجه ببله ودقه بالقصرة . (المعجم الوسيط ج٢ ص ٧٣٩ ، المعجم الوجيز ص ٥٠٤)

(٢) الجزنائى : جني زهرة الآس ص ٣٤ ، ابن ابى زرع : الأنيس المطرب ص ٤٩ ، مارمول كرفجال : أفريقيا ج٢ ص ١٤٩.

(٣) الوزان : نفس المصدر السابق ج١ ص ٢٤٠- ٢٤١ ، مارمول كرفجال : نفس المصدر السابق ص١٤٩.

(٤) عبد القادر زمامة : مرجع سابق ، ص ٤٧١ ، مارمول كرفجال : نفس المصدر ص١٤٩.

(٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٣٩٦

(٦) مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٤٩

(٧) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٤١

(٨) البايوتشو : هي عملة ايطالية قيمتها نحو ٧ سنتيم ذهب . (الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١٨١)

- **الأسواق الأسبوعية :**

يعقد السوق يومين في الأسبوع هما (الاثنين ، والخميس) ولكن الخميس هو اليوم التقليدي[١] . وتركز التجارة في هذا السوق في تجارة الماشية من (الأبقار ، والأغنام ، والماعز ، والدواب ، والخيل ...)

وكان يجتمع بها تجار الماشية باختلاف أنواعها إلى جانب تجار بعض المنتجات المنزلية البسيطة مثل (أنية الفخار) وأنواع أولية من الأقمشة المنسوجة يدوياً – والبيض – وبعض الطيور المنزلية .

ولم يكن يقصد هذا السوق التجار الصغار والمشترون من الأفراد فقط ، وإنما كان يقصده أيضاً كبار التجار ، بإعادة بيعها داخل أسواق المدينة ، وكذلك كانوا يأخذون معهم بعض منتجات المدينة لبيعها للريفيين من أحذية وأقمشة وأدوات زراعية[٢] .

ويوجد أيضاً إلى جانب هؤلاء عدد من الأطباء البيطريين للاستشارة وإجراء العمليات الصغيرة للماشية، وكذلك الحلاقين والدلالين وكتاب العدول وجامعي المكوس، وقد شهد السوق بعض الحواة والموسيقيين وباعة الأطعمة الجاهزة ...[٣] .

وكانت الأسواق الأسبوعية تقام في مدن المغرب الأقصى ففي مدينة فاس سوق يوم الخميس[٤] ينعقد خارج الأسوار الشمالية الشرقية لمدينة فاس ، وعلى امتداد الطريق إلى باب المحروق[٥] وسوق الجمعة وهو سوق للطيور وكان يقام كل يوم جمعة بعد انتهاء ساعات العمل ويباع في هذا السوق طيور الزينة ، ويقام خارج باب عجيسة[٦] .

---

(١) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ص ٥٦٢ ، و فاس في عصر بني مرين ص ٥٥

(٢) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ص ٥٦٤

(٣) الحسن الوزان : مصدر سابق ج ١ص ٢٧٩

(٤) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ص ٥٦٢ ، وفاس في عصر بني مرين ص ٥٥

(٥) بنى الباب من طرف الخليفة الموحدى محمد الناصر سنة ٦٠١هـ /١٢٠٤ م ، وأطلق عليه اسم باب الشريعة قبل ان يشتهر باسم باب المحروق لتزامن بنائه مع انتهاء ثورة العبيدى الذي سيق إلى فاس وقتل ثم علق رأسه على الباب ، وأحرق جسده في وسط الباب ، فسمى الباب من ذلك التاريخ باب المحروق .. (ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ص ٢٤٩ ، وابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢٧١)

(٦) كان في عصر الوزان دكاكين لتجار الطيور، بلغ عددها حسب (مارمول)ستة عشر دكاناً بجوار باعة القطن في القرب من باب البراطيين . (روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ص ٥٦١)

وقد اهتم الموحدون بفاس اهتماماً خاصاً ، واعتنوا بأمرها حتى بلغت درجة عالية من الانتعاش العمراني والاقتصادي ، لاسيما في زمن المنصور الموحدى وولده الناصر ، حيث شيدت الأسوار بالمدينة[١]، وراجت صناعتها وحرفها وانتشرت الأسواق بالمدينة وارتبطت بالطرق التجارية. فعن طريق فاس كان يتجهز التجار إلى بلاد السودان وإلى المشرق وكان يحمل منها النحاس الأصفر إلى جميع الأفاق[٢] .

وهكذا تميزت مدينة فاس برونقها ونظافتها وقد وصف ابن حوقل شوارعها في القرن الرابع الهجري بقول " في كل يوم برسل في أسواقها وشوارعها من نهرها الماء فتغسل " [٣] . كما تميز كل من العدوتين بطابع خاص يعكس سمات سكانها ، فعدوة الأندلسيين[٤] التي نزلها البربر وأهل الأندلس ، هم عناصر تكاد تكون ذات طابع متقارب من حيث المستوى الاجتماعي والاقتصادي وقد اتسم ببساطة العيش[٥] . بينما عدوة القرويين[٦] التي نزلها العرب والفرس اتسمت بالطابع التجاري ، وكثرة البناء وقد وصفها الإدريسي[٧] بأنها " جليلة كثيرة العمارة والمنازل، تشد إليها ركائب القوافل ويجلب إلى حضرتها كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة " . وقد قدم صاحب الاستبصار شهادة مؤرخة لسنة٥٨٧ هـ /١١٩١ م ، في بداية عهد المنصور ذكر فيها " وقاعدة بلاد المغرب مدينة فاس ... هي أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب ومدينة فاس مدينتان كبيرتان يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس يدور عليها سور كبير، ومدينة فاس اليوم في نهاية العمارة والصلاح"[٨].

---

(١) ابن عذارى : البيان ، القسم الموحدى ص٢٦٦، ابن أبى زرع : نفس المصدر السابق ص ٢٤٢ ، السلاوى : الاستقصا ج ١ ص ١٩١ ، مصطفي أبو ضيف : اثر القبائل العربية في تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين والمرينيين ص ٩٩-١٠٠

(٢) مؤلف مجهول : الاستبصار ص١٨١

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص٩٠ - ١١٥ .

(٤) والعدوة هي الموضع المرتفع الذي يبنى بجانب النهر من اجل نصب الرحى (المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط ٢ ، ليدن ١٩٠٦م ، ص٢٢٩) تأسست عدوة الأندلسيين في غرة ربيع الأول سنة ١٩٢هـ وقد اختطت على يد الأمام إدريس الثاني . (الجزنائى : جني زهرة الآس في بناء فاس ص٣٣ ، مجهول : رسالة في ذكر من أسس فاس ورقة ٧)

(٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص٤٦ .

(٦) تأسست عدوة القرويين في مستهل ربيع الثاني سنة ١٩٣هـ وقد اختطت على يد الإمام إدريس الثاني . (الجزنائى : نفس المصدر السابق ص٣٣)

(٧) الإدريسي : نزهة المشتاق ج١ ص٢٤٦

(٨) مؤلف مجهول : الاستبصار ص١٨٠

- أما عن أسواق مدن المغرب الأقصى فنبدأ من المدن الشمالية :

اشتهرت أسواق سبتة بأسواق المرجان[١] . حيث أنها ميناء هام لبلاد المغرب الأقصى ويقع الميناء بشرقيها ، والبحر عندها ضيق وإذا كان الصحو (عدم وجود غيوم) أبصرت منها الجزيرة الخضراء من بر الأندلس[٢] . وبها أسواق لصناعة النحاس مثل الشمعدانات والصحاف والمحابر وأشياء أخرى[٣] .

وكانت أسواق المدن القريبة من سبتة مثل سوق قرية نصر ابن جرو جنوب سبتة وطنجة ينعقد يوم الجمعة[٤] فمدينة سبتة ميناء رئيسي لمدن المغرب الأقصى فهي مدينة تجارية من الطراز الأول ، فهي ميناء للتصدير والاستيراد ، وقد بلغ عدد الأسواق في مدينة سبتة وما جاورها (مائه وأربعة وسبعون سوقا) منها مائة واثنين وأربعين سوقا في داخل المدينة نفسها ، وقد امتازت بكثرة المعروض من السلع[٥] .

وتشتهر أسواق مدينة طنجة[٦] بتنوع تجارتها منها أسواق الفاكهة ، وأسواق الحبوب[٧] وبها أسواق عامرة من الخضر والفاكهة والأسماك والملابس[٨] . ويذكر الأصطخرى أن فاس عاصمة إقليم طنجة الذي يصفه بقوله : (طنجة كورة عظيمة تحيط بمدن وقرى وبوادي ومدينتها فاس)[٩] .

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٩

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ص١٣٣

(٣) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص٣١٨ ــ ٣١٩

(٤) البكري : المصدر السابق ص١٠٨

(٥) الأنصاري السبتي : اختصار الأخبار عما بسبتة من سنى الآثار ص٣٩ –٤٠

(٦) مدينة طنجة هي مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر ، طنجة آخر حدود إفريقية من المغرب ومسافة ما بين طنجة والقيروان ألفا ميل وفي الاستبصار ألف ، وهى طنجة البيضاء المذكورة في التواريخ ، وقيل أن عمل طنجة مسيرة شهر في مثله وأن ملوك المغرب من الروم وغيرها من الأمم كانت دار مملكتهم مدينة طنجة... وبين طنجة وسبتة ثلاثون ميلا(٤٣.٤٤كم) في البر، وفي البحر نصف مجرى ، وتعرف طنجة بالبربرية " وليلى " .
(الحميري : الروض المعطار ص ٣٩٥ – ٣٩٦ ، البكري :المغرب ص ١٠٨ – ١١١)
طنجة على المضيق واتساع البحر عندها ثلث مجرى فإذا شرق عنها اتسع وبينها وبين سبتة مرحلتين وهى على ساحل البحر مقابل الجزيرة الخضراء لبلاد الأندلس .
(أبو الفداء : تقويم البلدان ص١٣٣ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٤ ص١٤٣ الهامش)

(٧) الحسن الوزان : وصف افريقيا ص٣١٥

(٨) البكري : المغرب ص ١٠٩

(٩) الاصطخرى : مصدر سابق ، ص ٣٤

أما أسواق مدينة سلا[1] الواقعة في الشمال الغربي ، عامرة تقصدها المراكب لتحصل منها على كافة أنواع السلع من اللحوم والخضر والفاكهة والأسماك[2] . وبين مدينة سلا ومراكش على ساحل البحر تسع مراحل ، وهى مدينة لها أسواق نافقة وتجارات ودخل وخرج ، ولأهلها سعة أموال ، والطعام بها كثير رخيص جداً ، وبها كروم وغلات وبساتين ، وهى مدينة لها ميناء تقصده مراكب أهل اشبيلية وسائر المدن الساحلية من الاندلس يقلعون عنها ويحطون بها بدروب من البضائع ، ويقصدها أهل اشبيلية بالزيت الكثير ، ويتجهز منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية ، وهذه التجارة مع النصارى تحقق لأهل المدينة أرباح ضخمة ، ولهؤلاء التجار مخازن سواء في فاس أو سلا[3] .

وأسواق مدينة أصيلة تقع إلى جنوب مدينة طنجة وقد وصفها البكري بقوله: " مدينة أصيلة أول مدن المغرب من جهة الغرب والمحيط بغربيها وإذا هاج البحر المحيط بلغ الموج إلى حائط الجامع ، وسوقها حافلة تنعقد يوم الجمعة"[4] . ويقام في مدينة أصيلة أسواق ثلاث مرات في السنة وقت اجتماعهم في شهر رمضان وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء ، ويقصدها أهل الأمصار والأندلس في هذه الأوقات بمختلف السلع والبضائع[5] .

وسوق مرسى فضالة[6] على المحيط به أسواق للطعام والحبوب والمواشي ، حيث ترده المراكب من بلاد الأندلس[7] .

---

(١) سلا : مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلا مدينة صغيرة ثم يأخذ البحر ذات الشمال وذات الجنوب وهو البحر المحيط . مدينة موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذاها البحر المحيط والنهر .وقد بنيت سنة ١٤٠هـ /٧٥٧ م وهى مدينة سهلية أرضها سبخة وهى محاطة بسور بناه اليسع أبو منصور ابن أبى القاسم من ماله الخاص سنة ١٩٩ هـ/٨١٤ م.
(ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٣١/٣ ، أبو الفداء : المصدر السابق ص١٣١ ، الحميرى : الروض المعطار ص٣١٩)

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ص٢٣٩ .

(٣) الحميري : نفس المصدر السابق ص٣١٩ ، الإدريسي : نفس المصدر السابق ص٢٢٥ ، مجهول : الاستبصار ص١٤٠ ، الحسن الوزان : وصف إفريقيا ج١ ص٢١٤

(٤) البكري : المغرب ص١١١

(٥) البكري : نفس المصدر ص١١٢

(٦) كلمة مرسى : هي مكان وقوف السفن إلى الساحل جمعها مراسي .
(جبران مسعود : معجم رائد الطلاب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص٣٣٠)
ومرسى فضالة: يقع جنوب مدينة سلا باثني عشر ميلا(١٧.٣٧٦كم) على ساحل المحيط الأطلسي وتعتبر محمل الطعام في البحر للجنوب (الإدريسي : نزهة المشتاق ص٢٣٩ وما يليها)

(٧) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٩ ومايليها .

وفي مدينة مكناس[١] سوق ينعقد خارج المدينة بالقرب من أسوارها يوم الاثنين[٢] .

وسوق القصر الكبير في إقليم أزغار[٣] شمال فاس ينعقد يوم الاثنين أيضا[٤].

وسوق خميس متغارة الواقع على الطريق بين مراكش وفاس ينعقد يوم الخميس ولهذا عرف بهذا الاسم[٥] .

أما سوق داي[٦] حيث يجتمع التجار من فاس وسجلماسه وغيرها[٧] .

ويوجد في مدينة داى سوق للقطن[٨] ، أما مدينة تادلة[٩] فسوقها ينعقد يوم الأحد[١٠] وبها سوق للقطن[١١] ، وفي شمال تادلة سوق قلعة مهدي الذي تخصص في بيع الخضر والفاكهة كما كان بها أسواق الماشية (البقر والغنم)[١٢] وغيرها .

- **أما أسواق مدن المغرب الأقصى الجنوبية :**

أشهرها أسواق مدينة أغمات[١٣] الذي تمر بها طرق القوافل التجارية القادمة من

---

(١) مكناس : مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البحر الأعظم بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة(٦٢٣.٢٨كم) نحو المشرق وهي مدينتان صغيرتان اختط احداهما يوسف بن تاشفيين أمير المرابطين ، والأخرى قديمة أكثر شجرها الزيتون ، وقيل مكناسة حصن الأندلس من إعمال ماردة ، في طريق المار من فاس الى سلا على شاطئ البحر .
(ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٥ ص١٨١)

(٢) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٢٠ .

(٣) ازغار : شمال فاس على المحيط وتنتهي غربا عند نهر سبو وشرقاً عند جبال غمارة وعند الزرهون وجبل زلاغ وجنوبا عند وادي مكس (الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٣٠١)

(٤) الحسن الوزان : نفس المصدر ص٣٠٥

(٥) الحسن الوزان : نفس المصدر ص٢٢٣ الحاشية (٤)

(٦) داى : مدينة تقع شمال شرق مدينة أغمات بينهما أربعة أيام(١٧٨.٠٨كم) وهى في أسفل جبل خارج من جبل درن. (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤١)

(٧) البكرى : المغرب ص١٥٤

(٨) الإدريسي : نزهة المشتاق ص٢٤١

(٩) تادلة : تقع شمال مدينة داى بمسافة مرحلة(٤٤.٥٢٠كم) ، وبين تادلة وأغمات في اتجاه الشمال الشرقي أربعة أيام . (الإدريسي : المصدر السابق ص٢٤١ ــ٢٤٢)

(١٠) الإدريسي : نفس المصدر ص٢٢٢ في الهامش .

(١١) الإدريسي : نفس المصدر ص٢٤١

(١٢) الإدريسي : نفس المصدر ص٢٤٣

(١٣) أغمات : ناحية في بلاد البربر من ارض المغرب قرب مراكش وهى مدينتان متقابلتان كثيرة الخير ومن ورائها الى جهة البحر المحيط السوس الاقصى بأربع مراحل(١٧٨.٠٨كم) ومن سجلماسة ثمان مراحل(٣٥٦.١٦كم) نحو المغرب ، وليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع

الجنوب وبلاد السودان ، محملة بالبضائع المختلفة ، كذلك كانت تمر عليها قوافل التجارة القادمة من ساحل رباط قوز[١] .

وقد وصف الإدريسي تجار مدينة اغمات بقولة : " وهم أملياء تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الأفاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم مائة جمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقرة "[٢]

وبمدينة أغمات ضروب من الفواكه وأنواع من النعم وكل شيء من المأكول بها رخيص ممكن[٣] وينعقد سوق أغمات يوم الأحد من كل أسبوع وتجتمع فيه السلع المختلفة ويأتي لهذا السوق من التجار والمشترين أعداد كبيره ، فقد ذكر البكري أنه :" يذبح في هذا السوق مائة ثور وألف شاة وينفذ في ذلك اليوم "[٤] (يدل على كثرة المترددين على هذا السوق) .

وبين اغمات وساحل رباط قوز ، توجد مدينة صغيرة هي نفيس بها أسواق للخضر والفواكه والحبوب واللحوم وسوقها رائج وبها سوق لأنواع الزبيب ، مشهور في بلاد المغرب الأقصى[٥].

الأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظاً ولا خصباً منها تجمع فواكة الصرود والجروم.

(الصرود : صرد وهو الشتاء /أما الجروم : جرم وهو الحار. (أي الفاكهة الشتوية والصيفية).

(ابن منظور : لسان العرب ج٤ ص٢٣٥ وما بعدها ، و ج ١٤ ص٣٥٧).

وبين مدينة اغمات ومراكش ثلاثة فراسخ(١٣.٠٣٢كم) هي في سفح جبل هناك وهى للمصامدة، يدبغ بها جلود تفوق جودة على جميع جلود الدنيا وتحمل منها إلى سائر بلاد المغرب ويتنافسون فيها . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ١/٢٩٥)

(١) رباط قوز : ميناء ساحلي على المحيط يقع غرب مدينة اغمات وتعتبر ميناء لأغمات .

(البكري : المغرب ص١٥٣)

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ص٢٣٢ وما يليها ، البكري : نفس المصدر السابق ص١٥٣ــ١٥٤

(٣) الإدريسي : نفس المصدر ص٢٣٢ــ٢٣٣

(٤) البكري : المغرب ص١٥٣

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص٢٢٩

- أسواق مدينة سجلماسة[١] :

مدينة تجارية عامرة حيث أنها مقصد لتجارة المغرب الواردة والصادرة ، وترجع شهرة أسواقها إلى موقعها في بداية طرق القوافل القادمة من بلاد المغرب قاصدة بلاد السودان والقادمة منها .

ويحدثنا ابن حوقل عن تجار سجلماسة : " لقد رأيت بأودغست[٢] صكا فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار " [٣] .

ويوجد بها أسواق للخضر والفواكه والتمور[٤] ، وكذلك سوق للقطن والكمون والكراويا والحناء يتجهز منها إلى سائر بلاد المغرب[٥] ويذكر ابن الوردي عن أسواق سجلماسة أنه : " يسير فيها الراكب نصف يوم فلا يقطعها "[٦] مما يدل على كثرة ما يعرض في أسواقها من بضائع وسلع .

---

(١) سجلماسة : مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام(٤٤٥.٢كم) تلقاء الجنوب ، وهى في منقطع جبل درن ، وهى في وسط رمال . يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخلا مد البصر . فهي في صحراء المغرب بينها وبين البحر المحيط خمس عشرة مرحلة(٦٦٧.٨كم) . ويقال على نهرها (زيز) ، وليس بها عين ولا بئر ، وزرعتهم الدخن والذرة ولهم النخل الكثير ، وسجلماسة من أعظم مدن المغرب ، وهى على طرف الصحراء لا يعرف في قبليها ولا في غربيها عمران ، وبينها وبين غانة في الصحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة ، قليلة الماء يسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان ، ليس لهم مدن ولا عمارة يأوون إليها إلا وادي درعة ، وبينه وبين سجلماسة مسيرة خمسة أيام(٢٢٢.٦كم) . وهى مقصد للوارد وللصادر .
(ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣/ ١٩٢ ، الحميري : الروض المعطار ص٣٠٥)

(٢) أودغست : " مدينة بين جبلين في قلب البر جنوبي مدينة سجلماسة ، بينها نيف وأربعون مرحلة في رمال ومفاوز على مياه معروفة وفي بعضها بيوت البربر " (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢٧٧/١ وما يليها) ويذكر البكرى عن أودغست انها منزل ملك السودان المسمى بغانة قبل ان تدخل العرب غانة. (البكري : المغرب ص١٦٨)

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص٩٩

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ص٢٢٥ وما يليها ، المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص٢٣١

(٥) الإدريسي : المصدر السابق ص٢٤٠

(٦) سراج الدين أبو حفص زين الدين عمر المظفر (ابن الوردي) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، الناشر مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٩٩٨م ، مخطوط ص٨

وفي جنوب سجلماسة تقع مدينة درعة[١] ، وقد وصفها الإدريسي بأن بها أسواق لبيع الغلات ، مثل الحناء ، والكمون ، والكراويا ، والنيلج[٢] وفي درعة سوق رئيسي ينعقد كل يوم جمعة ، كما ينعقد في مدينة درعة سوق يومي في مكانين مختلفين لبعد المسافة وكثرة الناس عليه لطول عمارته المتصلة[٣] وأسواقها جامعة[٤] .

وفي منطقة جزولة[٥] سوق يقام لمدة شهرين وتقع جزولة في جنوب المغرب الأقصى ، وهى مدينة آهلة بالسكان[٦] .

أما في مدينة نول لمطة[٧] آخر مدن جنوب المغرب الأقصى ، سوق يصنع فيه الدرقة اللمطية الشهيرة[٨] ، وسوق لصناعة السروج ، واللجم ، والأقتاب المعدة لخدمة الإبل على طول طريق القوافل ، وسوق الأكسية المسماة بالسفسارية والبرانس .

وسوق لبيع الماشية (البقر والغنم) ومنتجات الألبان[٩] وبها سوق لبيع الرقيق ينعقد في يوم واحد في السنة يقصده التجار من الآفاق[١٠] .

---

(١) مدينة درعة : مدينة صغيرة بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ(٢٧.٨٢٥كم) ، ودرعة غربيها . (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤٥١/٢ الهامش)
ويصفها البعض بقولة " درعة مدينة بالمغرب في جهة سجلماسة تبعد عنها بثلاث مراحل . وتعرف باسم واديها وادي درعة ، وهى غير محاطة بسور وإنما هي قرى متصلة ، وعمارات متقاربة وسكانها خليط من البربر . أما أشهر مزروعاتها فهي الحناء .
(الحميري : الروض المعطار ص٢٣٥ــ٢٣٦ ، ابن سعيد : الجغرافيا ج ١ ص٢٦)

(٢) النيلج : صباغ أزرق يستخرج من ورق نبات النيل . (المعجم الوجيز ص٦٤٢)

(٣) البكري : المغرب ص١٥٢ ، مجهول : الاستبصار ص٢٠٦

(٤) البكري : نفس المصدر ص١٥٥

(٥) جزولة : إقليم مأهول بكثير من السكان جنوب المغرب الأقصى فمن الغرب جبل هلالة وجبل السوس ، ومن الشمال جبال الأطلس ومن الشرق منطقة درعة .
(الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص١٥٥ــ١٥٦)

(٦) الحسن الوزان : المصدر السابق والصفحة

(٧) نول لمطة : مدينة تقع جنوب غرب سجلماسة بثلاث عشرة مرحلة(٥٧٨.٧٦كم) ، وهى قريبة من المحيط بمسافة ثلاثة أيام(١٣٣.٥٦كم) ، ولها نهر كبير ينبع من جبل لمطة في شرقها إلى غربها الشمالي حتى يصب في المحيط . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٤ ، أبو الفداء : مصدر سابق ص١٣١)

(٨) الدرقة : الترس من الجلد (لباس للقتال) ، وتسمى بـ (اللمطية) نسبة لمدينة نول لمطة .
(المعجم الوجيز : ص٢٢٦)

(٩) الإدريسي : مصدر سابق ص٢٢٤ وما يليها

(١٠) ابن خلدون : العبر ج٦ ص٥٧٦

أما في منطقة السوس الأقصى[١] في أقصى غرب مدن المغرب الأقصى ، وعاصمة السوس الأقصى مدينة تارودانت[٢] ، ويوجد في مدينة تارودانت أسواق للفاكهة ، وللحوم ، ولبيع السكر وللأكسية الرقاق والثياب الرفيعة ، وللحبوب بأيسر قيمة وأسعارها رخيصة[٣] .

وفي مدينة تدسى[٤] الواقعة إلى شرق تارودانت وهى تبعد عن المحيط الأطلسي ستين ميلا . وبها سوق أسبوعي ينعقد كل يوم سبت[٥] .

وفي منطقة السوس الأقصى ينعقد السوق مرتين في الأسبوع[٦] .

وإلى جانب تلك الأسواق كانت هناك أسواق متنقلة تقام في ظل الحملات العسكرية[٧]

ولا تختلف عن الأسواق الأخرى لاجتماع أصحاب التجارات وكل الأصناف فيها حتى أرباب الغزل وبيع الكتان باستثناء الحياكة والنساجين ، الذين يحتاجون في العادة أنوالا ثابتة لعملهم يصعب حملها وتحضيرها والإنتاج بها مع الحركة المتوقعة للجيش في كل وقت .

وتقام تلك الأسواق بالقرب من المعسكرات وتضم من السلع الغذائية الدقيق والشعير واللحم ، والأعلاف[٨] (الحيوانات للذبح ، ولخيول الجيش) .

---

(١) السوس الأقصى : تقع على ساحل البحر المحيط بالدنيا ، فمن السوس الأقصى إلى القيروان ثلاثة آلاف فرسخ يقطعها السالك في ثلاث سنين .
ويطلق السوس على ما وراء جبل درن من جهة الجنوب إلى الصحراء ومن مدن السوس إلى بلاد درعة بلاد جليلة قد تضاف الى السوس وقد تضاف الى سجلماسة
(ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣/ ٢٨٢ ، أبو الفداء : مصدر سابق ص١٣١)

(٢) تارودانت : مدينة السوس الأقصى وهى على طرف من البر داخل في البحر أربعين ميلا(٧٤.٢كم) ... يحذره المراكب وهى مدينة على نهر في جانبه الشمالي ونهرها يأتى من الشرق من جبل لمطة . (أبو الفداء : مصدر سابق ص١٣١)

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق ص٢٢٧ وما يليها

(٤) تدسى : يمر نهر السوس بالقرب من المدينة على مسافة ثلاثة أميال (الحسن الوزان : مصدر سابق ص١٣٠ وما يليها)

(٥) الحسن الوزان : نفس المصدر ص١٣١

(٦) الحسن الوزان: وصف إفريقيا ص١٣٢

(٧) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص٣٥٢

(٨) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص٢٤٢ـ٢٤٦ (ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحدى ، ص٣٥ـ٣٩)

كما وجدت في المدن أسواق صغيرة تشتمل على بضع دكاكين ستة أو سبعة على الأكثر ، توجد مجتمعة حول ساحة صغيرة أو في ملتقى طرق أو على طول زقاق مطروق ، وتشتمل على السلع المختلفة الضرورية للحياة اليومية[١] .

- **العاملون في الأسواق :**

كان يعمل في الأسواق عاملين يساعدوا التجار والصناع في تيسير الحركة التجارية ، ولهم دور كبير في تلبية حاجات الناس في السوق ، ومتطلبات الحياة اليومية للسكان ، ويشكلون هؤلاء العاملين جماعات صغيرة بمدن المغرب الأقصى[٢] وهم كالآتي :

أ- السماسرة[٣] والدلالون[٤] :

هم الفريق الذي ينظم العلاقة بين البائع والمشترى وكانت لهم أماكن تتواجد بالقرب من حلقات المزاد العلني، وكان عددهم يتوقف على نوعية البضائع المباعة[٥].

والسمسار هو الوسيط بين التاجر والمشترى فيما يباع ، وبعض السماسرة يكون لهم دكاكين لتصريف أعمالهم[٦]. وكان ينزل عنده التجار الغرباء وعن طريقه يصرفون تجارتهم[٧] . وقد أشار الونشريسى بعدم جواز شهادة السمسار للتجار الذين

---

(١) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ص٥٦

(٢) حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية في المغرب الأقصى ، رسالة دكتوراه – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢م ص٣٩٥ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص٢٥

(٣) السمسار :هومتولي العقد بين البائع والمشتري بأجر .
(الشرباصي : المعجم الاقتصادي ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٢٢٧)

(٤) الدلال : هو الذي يصف البضاعة وجودتها . ويعتبر وسيطاً بين البائع والمشترى .
(شمس الدين بن عبد الله الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق البشري الشوربجي ، مكتبة الكليات الازهرية ، الاسكندرية ، ١٩٧٧م ، ص٤٤ ، الونشريسى : المعيار المعرب ج ٥ ص١٩٧ ، الشيزرى : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٦٤)

(٥) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص١٥٥ ــ١٥٦

(٦) أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلى عرف بإبن الزيات : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبتي ، تحقيق أحمد توفيق ، المملكة المغربية ، جامعة محمد الخامس ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، دراسات رقم ٢٢ ، ص١٣١ وما يليها

(٧) أبو عبد الله محمد بن ابى محمد المالقي (السقطى) : آداب الحسبة ، تحقيق ج. س. كولان، ليفي بروفنسال ، دار إير نيست لرو ، باريس ، ١٩٣١ ، ص٦٠

يتعامل معهم[١]. والسماسرة أصناف منهم الطوافون[٢] وهم في الغالب غير مرتبطين بسوق معين ، لأنهم يعرضون سلعهم في كل مكان يحتمل بيعها فيه، ومنهم المفوضون ومنهم النساء الدلالات[٣] .

ينادى الدلال على السلعة ليتم بيعها ، وكان المشترون يرون في السلعة التي يروج إليها الدلال أقل ثمنا من التي في الحوانيت (الدكاكين) وأرخص سعرا فيميل إلى الشراء من الدلال[٤] ، وبعض التجار من يتعرضون للإفلاس يعملون كدلالين ، وقد عمل في سوق مراكش دلال كان تاجرا في فاس وعند تعرضه للإفلاس عمل كدلال[٥]. وكان يوجد بفاس زقاق للدلالين ، وقد وصل عددهم لسبعين دلالا ، وكانوا يأخذون فلسا واحدا تقريبا عن كل درهم من مبيعاتهم[٦]. وكان دلالو الأقمشة والمنتجات الجلدية هم الأكثر عددا عن الباقين[٧] . وكان عليهم حمل السلع من دكان إلى آخر ، وعرض البضائع المعهودة إليهم بها والعمل على بيعها ، وكانوا لا يسلمونها إلا للتاجر الذي أعطى أعلى سعرا[٨] .

وكان التاجر هو من يختار الدلال على أساس أن يكون شخصية تفترض فيه الأمانة ، وكان من المألوف أن يكون للتجار دلالون دائمون يثقون بهم[٩] .

ويبدأ العمل بأن يدفع التاجر إلى الدلال بالبضاعة بقصد المزاد ، وكان المشترون يأتون إلى الأسواق ويجلسون في أماكن تتيح للدلالين المرور عليهم والتحرك بسهولة بالبضائع خاصة مع ضيق الأماكن المقام بها المزاد ، وكانت

---

(١) الونشريسى : المعيار ج ١٠ ص٤٦٣ وما يليها

(٢) الونشريسى : نفس المصدر ج ٨ ص٣١٩

(٣) لا يبدو أن اختصاص بعض النساء بهذه المهنة كان يعنى إضطلاعن بمهام مخالفة لما يقوم به الرجال ، كأن يقمن بحمل البضائع إلى المنازل ومباشرة البيع للنساء فقط لأن النزلة المذكورة بينت أن هؤلاء الدلالات كن يعاملن الرجال أيضا .
(الونشريسى : نفس المصدر ج ٥ ص٢٣٨)

(٤) الونشريسى : المصدر السابق ج ٥ ص١٩٧

(٥) التادلى : التشوف ص٤٠٢ وما يليها

(٦) مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص١٤٩

(٧) الحسن الوزان : مصدر سابق ج ١ ص ٢٣٧ ، روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص١٥٦

(٨) مارمول كرفجال : المصدر السابق ص١٥٦

(٩) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص١٥٦

البضائع تقسم إلى مجموعات ليتم بيعها مثل (الجلود الخام التي كانت تباع كل ستة أو اثني عشر معا ، باستثناء جلود الثيران التي تباع بالواحدة[١].

وكان على الدلال أن ينادى على أسعار البضائع بصوت مرتفع ، فإذا أبدى المشترى رغبة في الشراء كان على الدلال الذهاب إليه والتأكد من رغبته في الشراء بالسعر المعروض والدفع نقدا ، وعلى المشترى دفع الثمن مضاف إليه أجرة الدلال أو حسب الاتفاق[٢] . أما إذا أراد المشترى دفع ثمن البضاعة بالأجل فإنه في هذه الحالة يفقد الفرصة من الإفادة من الخصم الموجود في الدفع الفوري[٣] وكان هذا هو التقليد المتبع .

أما المزاد فكان يقام في فترات معينه كل يوم لسلع منها (الأقمشة والصوف الخام والمنتجات اللازمة للاستهلاك الدائم) أما البضاعة الأخرى فكان المزاد يعقد مرة أو مرتين أسبوعيا ، وكانت العادة أن ينعقد المزاد بعد صلاة العصر[٤] . على أنه كانت هناك بعض الطوائف التي كانت تتجنب البيع بالمزاد العلني ويلجأون لنظام التعاقد المباشر ، وكان أغلب هؤلاء من العاملين في صناعة البناء .

وهناك الكثير من أساليب الغش التي اتبعها بعض السماسرة والدلالين ، والتي اختلف فيها الفقهاء منها :

ما يتعلق بضمان السلع بعد ادعائهم ضياع السلع،أو بضمان ثمنها بعد القبض[٥] ومماطلة بعضهم عن أداء مغارم السوق[٦] بقصد اقتسامها مع التاجر وبائع السلعة[٧] .

أو الاستمرار في المزايدة حتى وان قبل البائع بثمن أدنى ، وغالب الظن أن الدلال كان يختص هنا بفارق الزيادة أو الاستحواذ على نصف أجرة السلعة التي

---

(١) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص١٥٦

(٢) الونشريسى : المعيار ج ٥ ص٢٠٢ــ٢٢٠ ، ج ٨ ص٣٥٦ــ٣٦٣ ، ج ٩ ص١٢٢

(٣) روجيه لوطورنو : المرجع السابق ص١٥٧

(٤) الحسن الوزان: مصدر سابق ج١ ص٢٣٧-٢٤١ ، روجيه لوطورنو: المرجع السابق ص١٥٥

(٥) الونشريسى : المعيار ج ٨ ص٣٦٠-٣٦١ ، أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي (ابن الحاج النميري) : المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التى انتحلت وبيان شناعتها وقبحها ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د. ت. ، ج ٤ ص٤٢

(٦) هي الضرائب المختلفة التي تفرض على تجار بالسوق (عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ص٧٩)

(٧) الونشريسى : المصدر السابق ج ٥ ص٣٢

تسبب في بيعها ، إذا علم أنها وضعت لدى التاجر أو صاحب حانوت اعتبارا لأعرافهم . في حين أنهم يكتفون من التاجر بإجارة المثل فقط[١] .

وكان الدلال اليهودي يتواطأ إما على البائع أو المشترى مما جعل الفقيه المغيلى والفقهاء يشنوا حربا شعواء عليهم ، كما لعب اليهود دور الوسيط أو السمسار[٢] بين التاجر الواقد وأهل البلاد من المغاربة ، وهذا راجع لمعرفتهم بلغات الشرق والغرب ، ويتحدث ابن الحاج : " عن أن السماسرة أكثر غشا بالقول من أصحاب السلع وذلك لأنهم يزينون البضاعة في عين المشترى مع درايتهم بعيوبها[٣] .

ولم تكن فئة الدلالين تحظى بالاحترام الكافي لدى الجمهور ، فعدالتهم مشكوك فيها ، ويشتبه في استغراق ذممهم مثلهم في ذلك مثل " الصيارفة والموثقين والمخزنيين "[٤] والمقصود هنا الموثقون الذين يخرجون في صحبة الجباة . ولكن الفقيه أحمد القباب دعا إلى تفادى التعميم واعتبر السماسرة مثلهم مثل سائر الحرفيين ، مع الابتعاد عمن علم عنه فساد ذمته[٥] .

ب- الجلاسون :

وهم أصحاب محلات داخل السوق يتم البيع فيها بالمزاد لحساب التجار وخاصة النصارى ، وكان التاجر ينزل عند الجلاس فيتولى ضبط ما جلب وينظر في جميع ما يوظف عليه المخزن – بيت المال – ويأخذ به سلعا ، فيبيعها ويدفع ثمنها للوالي ، وكان الجلاس يتقاضى راتبه من الوالي(جلاس : يطلق علي المرتفع والطويل من كل شئ) [٦] .

وأغلب الظن أن الموحدين أوقفوا هؤلاء الجلاسين عن العمل في التجارة إذ لا يرد لهم ذكر في العصر الموحدى ثم ظهروا مجدداً في العصر المرينى[٧] ، وليس

---

(١) الونشريسى : نفس المصدر ج ٥ ص٢٢٠ ، ج ٨ ص٣٣٠

(٢) الونشريسى : نفس المصدر ج ٦ ص١٥٧ ، المغيلى : مصباح الأرواح ص٢٤

(٣) ابن الحاج : المدخل ج ٣ ص٧٥

(٤) الونشريسى : المعيار ج ١٢ ص٦٣

(٥) هو الفقيه أحمد بن عبد الرحمن الجذامى ويعرف بالقباب، إمام وفقيه تولى الفتيا بمدينة فاس، وله نوازل مشهورة وكان له مجلس في الحديث والفقه وأصول الدين. توفي بفاس سنة ٧٧٨هـ /١٣٧٦م ، أحمد بن محمد المكناسي (ابن القاضي) : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس ، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٣م ، ج١ ص١٢٣ــ١٢٤

(٦) الونشريسى : المعيار ج ١٢ ص٦٣ ، الوجيز : ص١١١

(٧) الونشريسى : المعيار ج١٢ ص ٤٤ ، عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي ص٢٨٥

عدم ذكر خبر لهم في عصر الموحدين أن هؤلاء الجلاسين غير موجودين بل موجودين لأن البيع بطريقة المزاد كانت مستمرة في عصر الموحدين.

وقد يتواطأ اليهود مع الدلالين على حساب التجار وخاصة الغرباء منهم[١]. وكان الأسوأ سلوكا بين الجلاسين هم باعة (القرق) وهو نوع من الأحذية[٢]. كما وجد المقوم أو "القشاش" وهو متخصص ببيع وشراء الدور وتقدير أسعارها[٣] . وهو من ذوى المعرفة بأمور البيوع بأثمان الوقت ، ويحتكم إلى خبرته لتحديد السعر في عقار أو عروض وغيرها[٤] .

ج- الحمالون :

هم مجموعة من الأجراء كانوا يقومون بنقل البضائع من مكان إلى أخر فوق أكتافهم أو على دابة تحمل البضائع[٥] . واستخدمت الأكياس لحماية ثيابهم والحبال لربط البضائع[٦] . وقد فرق البعض بين الحمال أو "الزرزاى" وبين "النقال" ، فذكر أن النقال يطلق على حامل الزيت والسمن والعسل والمائعات فقط[٧] .

وكان الحمال يمشى أمام دابته ويده في رسنها (زمام الدابه من أنفها) لينذر الناس، ويحذر العميان ، وذوى الحاجة والأعذار ويجب أن يكون للحمالين في كل صنعة موقف معروف لا يتعداه[٨] .

---

(١) الونشريسى : نفس المصدر ج ١٢ ص ٦٣

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب، ترجمة محمد عادل زعيتر ، دار أحياء الكتب ، القاهرة، ١٩٥٦م ، ص ٣٦٥ – ٣٦٦

(٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح ص ٣١١
وقد ظن عبد القادر زمامة أن القشاش هو الوسيط بين البقال والعطار فهو يبيع الدقيق والفاكهة وربما أطلقت التسمية أيضا على بائع الأدوات المعدنية والزجاجية . (للمزيد انظر: أسماء الحرف بفاس ، مجلة اللسان العرب ، الرباط سنة ١٩٧٠ م ، ج ١ ، ص ٣١٤)

(٤) الونشريسى : المعيار ج ٩ ص ٦٠١

(٥) الونشريسى : نفس المصدر ج ٨ ص ١٨٤ ، محمد بن احمد التجيبي (ابن عبدون) : رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥م ، ص ٤١ ، ويذكر الوزان : "أن هذه الفئة قد حصلت من الملوك على امتياز إعفائهم من أي ضريبة أو تكاليف ، كما أنهم لا يؤدون شيئا لأصحاب الأفران مقابل خبز عجينهم . " (الحسن الوزان : وصف افريقيا ج ١ ص ٢٣٥ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ، ص ١٥١)

(٦) الونشريسى : مصدر سابق ج ٨ ص ١٨٤ .

(٧) عبد القادر زمامة : أسماء الحرف بفاس ص ٣١١

(٨) ابن عبدون : في القضاء والحسبة ص ٤١ ، حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م، ص ١٤٦، عبد الحميد حمودة: أسواق القيروان ص٢٦، المعجم الوجيز: ص٢٦٤

د- السـقاءون :

كان بالأسواق سقاة يحملون الماء ويسيرون بها في الأماكن العامة[١] على ظهورهم في قرب مصنوعة من الجلد ، وكان السقاة يصبون الماء للزبائن في أكواب لإرواء عطشهم[٢]. وكان على المحتسب أن يحرص على مراقبة نظافة المياه التي يتناولها الناس فوضع السقاة تحت رقابة شديدة[٣] وكان للسقاة دورٌ بارزٌ في الحياة الاجتماعية، حيث كانوا وسيلة لنقل الأخبار ونشرها بين الناس[٤] .

د- الموثقـون :

كانت مهمة كاتب الوثائق تحرير وثائق التجار والعقود إلى جانب كونهم أعواناً للقاضي ، فكانوا مكلفين بالإشراف على سير الدعاوى[٥] ويشترط فيهم حسن الخط ، وترتيب اللفظ ، ودراية واسعة في العلم[٦] . وكان بعضهم يعمل متنقلا ، أي أنهم ينتقلون إلى مختلف الأماكن لصياغة العقود ، إلا أنه كانت لأغلبيتهم حوانيت[٧]. وكان للموثقين حوانيت بالقرب من جامع القرويين في فاس مثلاً[٨].

و- الوكـلاء :

آتخذ بعض التجار وكلاء للقيام بأعمالهم وخاصة إذا كان هؤلاء التجار فقهاء أو يعملون في مهن أخرى ولا يرغبون في التنقل(من مدينة الي أخرى)[٩] . وكان

---

(١) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص٧٤ ، حسن على حسن : المرجع السابق ص١٤٦ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ، ص٢٦

(٢) روجية لوطورنو : نفس المرجع السابق ص ٧٤

(٣) ابن عبدون : في القضاء والحسبة ص٣٢

(٤) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، رقم ٢٨ ، الكويت ، ١٩٨٨م ص٢٠١ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص ٢٦

(٥) ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ص١٣

(٦) الونشريسى : المعيار ج٥ ص ٢٢٠ ، كمال السيد أبو مصطفي : مرجع سابق ص٨٤ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص ٢٥

(٧) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص٧٤

(٨) روجيه لوطورنو : نفس المرجع ص٧٤

(٩) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، تحقيق احسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت ، ١٩٦٥م ، ج٤ ص ١٧٩ وما يليها

التعامل بين (التاجر والوكيل) يقوم على الثقة واتفاق مكتوب في عقد بينهما[١] . ويقيم الوكيل في السوق لإتمام العملية التجارية من بيع وشراء لصالح موكليهم[٢] نظير نسبة محددة من أثمان السلع التي يبيعها الوكيل أو يشتريها[٣].

ز- الصيارفـــة :

هم من يقومون باستبدال العملة ، وكان لهم سوق خاص بهم ، وغالباً ما يكون الصيارفة من أهل الذمة خاصةً اليهود ، ويقومون بإستبدال العملة وعقد الصفقات[٤] .

---

(١) الونشريسى :المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٢٤ – ٣٢٥ – ٣٢٦ –٣٣٢- ٣٣٤ – ٣٣٧ ، عز الدين احمد موسى : النشاط الاقتصادي ص٢٨١ ، عبد الحميد حمودة : مرجع سابق ص٢٨

(٢) مالك بن انس : المدونة الكبرى برواية الإمام سحنون بن سعيد ، ج ١٣ ، مطبعـــة الســـعادة ، مصر ، ١٣٢٣هـــ ، ص٩٣ ، حسين سيد عبد الله مراد : قبائل المصامدة منذ الفتح الاســـلامي حتى قيام دولة الموحدين في المغرب ، رسالة دكتوراه ، معهد البحوث والدراسات الافريقيـــة ، جامعة القاهرة ، ١٤١٢هـــ / ١٩٩١م ص ٣٢٦

(٣) توفيق سلطان اليوزيكى : النظم العربيـــة الإســـلامية ، ط٣ ، بغـــداد ، ١٩٨٨م ، ص٢٥٦ ، صبحي الصالح : النظم الإسلامية ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص ٣٧٩ ، عبد الحميد حمودة : مرجع سابق ص ٢٨

(٤) أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف : في آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفـــي بروفنســـال ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٤م ، ج ٨ ص٨٤ وما يليها ، عيســـى بـــن الذيب : مرجع سابق ص ٩٨ ، عبلة محمد سلطان لطيف : مرجع سابق ص ١٢١

obeikandl.com